١٩٨٣، مثـلاً، والتي أطلقت على نفسهـا اسم «قوات العودة إلى بيروت»، جموداً تكتيكياً وعمليـاتياً بارزاً عززه الميل النفسي نحو الاتكال على الاسلحة البعيدة المدى ذات الصوت الكبير والتي لا تتطلب التقدم الجريء من قبل المجموعات البشرية الصغيرة المترجلة للتغلغل إلى داخل المواقع المعادية.

حققت وحدات فلسطينية اخرى، في المقابل، نجاحاً اكبر حين تخلت عن أسلحتها الثقيلة عندما تطلبت الظروف ذلك. وكانت هذه الوحدات مدرَّبة أصلاً على العمل ضمن مجموعات صغيرة خفيفة التسليح، فكان من السهل بالنسبة إليها أن تتحول نحو التكتيكات والاشكال التنظيمية والاسلحة التي تناسب الاعتماد على عنصرها البشري وليس على الاسلحة الثقيلة. ولم ينطبق ذلك النجاح على حالات الحرب الغوارية خلف خطوط العدو فحسب، بل وأيضاً خلال المعارك الكبيرة الطاحنة، حيث نجحت الوحدات الصغيرة ذات التسليح الخفيف من السيطرة على المنطقة المجاورة لسوق الغرب وعلى بحمدون خلال حرب الجبل في صيف ١٩٨٣ (لم تتزود بأسلحة ثقيلة، سوى براجمتين صغيرتين متنقلتين)، ونجحت حتى في صد الهجمات المضادة للجيش اللبناني، دون دعم مدفعي أو مدرع. كما أبدت هذه الوحدات مرونة عالية خلال انسحـابها اللاحق من سهل البقاع نحو طرابلس، وثم خلال المعارك التي دارت في الشمال في نهاية ١٩٨٣، حيث حاولت أن تحتفظ بالمبادرة الميدانية بواسطة الاغارات الليلية والهجمات المضادة المستمرة. وربما يؤدي الاختلاف بالاهداف المرجوة الى ذلك الاختلاف الشديد في منهجي العمل العسكري: فتتكل المجموعة الاولى على الاسلحة الثقيلة وتتعثر بها، بينما تعتمد المجموعة الثانية على العنصر البشري ولا تحسب حساب الاسلحة الثقيلة أو المتـوسـطة سوى اذا سمحت الظروف باستخـدامها ضمن تكتيك خلاق. فيريد أصحاب الاسلحة الثقيلة الظهور بمستوى الجيوش، وبالتالي الدول، المعترف بها، فيهتمون بامتلاك أداة عسكرية ذات مظهر مؤثر؛ بينما تقيس المجموعة الاخرى صحة اختيار كل سلاح أو شكل تنظيمي أو تكتيك قتالي بمدى فعاليته ضد العدو المباشر.

ويـدل الاتكـال المبـالغ فيـه على الاسلحـة الثقيلة والاشكال التنظيمية الكبيرة وعلى التكتيكات القتالية الجامدة المرافقة لها، على حقيقة أن الاستراتيجية السياسية ـ العسكرية الشاملة التي تبنتها مختلف الاطراف الفلسطينية عملياً، باتت تتسم بسمات منطق الدولة، وغدت تستخدم الاداة العسكرية كما تستخدمها الدول أي أن حركة المقاومة صارت تخوض اللعبة السياسية الاقليمية والدولية وتعتمد على التحالفات المصلحية لحماية الذات، وأخذت تنظر الى دور الاداة العسكرية على انه استعراضي ـ نفسي يضمن حداً أدنى، فقط، من القدرة على تنفيذ العمليات الموسمية البارزة وعلى حماية المقر الاداري الفلسطيني في بيروت. وذلك بدلاً من خوض المجابهة اليومية، السياسية **والعسكرية**، مع اسرائيل ومن الاعتماد على بناء القوى الذاتية بواسطة العمل السياسي والتنظيمي والجماهيري الدؤوب.

وقد عكس التحول الى الشكل العسكري النظامي الثقيل والجامد، في الجوهر، حقيقة تغيُّر النظرة إلى المواجهة مع اسرائيل، رغم الشعارات المُطلقة، من كونها مواجهة سياسية وعسكرية يومية تستوجب استخدام الاشكال القتالية المتاحة حسب الامكانيات الفلسطينية والظروف الميدانية والاقليمية، إلى الاعتقاد بأنه يمكن تجميدها ميدانياً أو إرجاؤها الى المحافل الدولية. وجاء عنصر آخر يرفد هذا الاعتقاد، هو انفجار الصراعات العربية الداخلية في لبنان: